

هو عظة شهر الورود

من خمس عشرة
سنة في المنطق

« لثلاثة »

دنا السماء فمزني طرب الربيع وورغت في الخروج والتجوال لاشارك الطيحة في انراحها
كأني حسبت جدران البيت تقطع الصلة بيني وبينها ، وتشعرني بأن الكون حرمي من مشاركة
موجوداته الهاقات بأريج إيار بين النصون وبزينة الارض المروس

خرجت وليس لي وجهة معينة اطلب بداهة احياء قلما اخترتها . فسرت في شارع قصير
على مقربة من شارعنا كأن نسي انتيظة لب داعي الاخضرين المحطين بهاتيك المنازل
اخضر يبسط على ارض الحديقة طنمة عملية ، وأخضر يمالى ظليلاً فيعكس طيف اتانته
على وجه الجدران الشاهقات

سرت متملة أتقل من رصيف الى رصيف ، والشمس آخذة في التحدر وقد انسكرت
حدثها ولطف نورها حتى بدت الاشعة حزنة بما مازجها من معاني الفراق . وما كان أندر
المركبات والسيارات في ذلك المنرج ، ولما رأون يتبادلون نظرة كأنهم لقلهم يقولون « رأيت ؟
لا احد إلا أنا ! »

أثيت على آخر الشارع فتفتت سنة الى شارع رحب طويل هو شارع ماريث بأنا المؤدي
الى دار الآثار المصرية . فخطوت مرعدة بين العودة من حيث أتيت ومتابعة المسير الى
الامام . واذا بانقوس يدق على مقربة مني ولرنيته أزاء الغروب دوي متوسل حنان . فالتفت
الى جهة فوجدتني امام كنيسة صغيرة رأيتها مراراً ولم ادخلها مرة

وقفت تأمل واجهة الكنيسة وأدير نظري في الحديقة التي تتقدمها وكانت تجتازها بعض
السيدات . فلما توازينا وراء باب الكنيسة تبادر اليّ انه يُحتفل بصلاة الشهر المريمي في هذه

الساعة من كل يوم على طول الشهر ، لان ايار (مايو) مكرس للمذراء . ولم يعد يتقضى الآن ان اري ناة سير بخطوات صفور في ثوب ازرق كزرقة الاحلام وتتوارى هي ايضاً وراء باب الكنيسة لاجد مني شوقاً الى مشهد الهياكل وتوقاً الى رائحة البخور . اضحكوا ما شقتم ، انتم الزاعمون ان الثوب المليح دعائي ، وان زيه البسيط ونخريه الدقيق كان له مع المرأة مني احاديث اما الكنيسة فكانت مملوءة بالمصلين ولم يغفل في مقاعدها الا مكان واحد جثوت عنده قرب الكاهن الراكع املم المذبح يتلو المسحة باللاتينية فبرد عليه الجمهور بلهجة الخاشع المسبب لا اعرف شيئاً اجمل وأسمى من الصلاة في اي دين من الاديان ، لانها ونفع النفس الى اعلى درجات الارتقاء ومحاولة الدنوس من روح الحياة الكبرى . هي مناجاة العابد للعبود ، هي شكر الخوق للخالق واستطافه لاستئزال عطايه . وما اعذب هذا الاحتفاد ان في السماء هناك وراء جميع القوى والحيثاب الكونية الهماً قدراً لا يقضى دونه امر ، لديه النعم يضيها على الحاجة البشرية ، وعزة يتلانى حياها ضعف الانسان ، وجود يمم البرايا فتسوع وتنض بالحياة والقوة والتحول . الا اني لا استحسن الصلاة الآلية المستطردة على وتيرة واحدة دون ان يشترك فيها العقل والقلب ، — الصلاة المتعاقبة ألقاظها بين الشفاه والاصابع تمد منها ارقاماً معينة — لانها ايسر الى التروم المتعاطيبي منها الى الايقاظ الروحي . قد يكون هذا التأثير من تفنن الشيطان في التجرية والخداع . قاته الله ! لقد وسوس في صدري حتى شقت أمكاري وحلني على احصاء الحاضرين . وكانت النتيجة اني جيزمت بان النساء اسبق الى دخول السماء نسبة الى عددهن في الكنيسة ، اذ لم يكن بين مائتي امرأة الا رجلان وخمسة ارباع . أما الرجلان فرجلان ، وأما الخمسة الارباع نصيبان صغار خمسة جاءوا مع امهاتهم . وكنت ظالمة في الاحصاء والحكم فلما اتي عند الخروج وجدت جمهور الرجال في مدخل الكنيسة يقفون هناك مراعاة للسيدات وتمكراً منهم هن بالقاعد

وظل احتساس الوسواس يجربني فحس لي تفحص للمبيد فنقصت جدرانها وما قام عليها من صور وتماثيل ، وهندسة وما ميزها من قوش ورموز ، وهياكل وما تاسق عليها من صلبان وطاقات ازهار — تلك الازهار ذات الانحاء السري تتخللها شموع كأن لها تذكارات لا ذعة في شفق النيوية والنيان

لكل شيء في العالم نهاية . صمت الاصوات فشى الكاهن الى الدرابزون امام المذبح الكبير وبدأ موعظته الايطالية . وكان يقول اشياء عادية بصوت المنبت وأشارته مرتبكة كأشارات التلاميذ في حفلة توزيع الجوائز . ولكن لم يلبث ان أرتفع صوته وركزت هيئته وانست أشاراته ولعت عيناه وهو يقول :

« الى مريم وبه هذا الشهر الجليل يجب ان تتجىء النساء جميعاً . فالامهات ينظرنَ منها التجمل بالصفات التي احاطت بها ابنا يسوع ، وهي الخنان والحصافة والحجة الصادقة التي لا زهو فيها ولا شعور . لقد كانت ، وما زالت ، وستبقى ابداً اسمى مثال للامومة القدسية ، تمير الامهات وراءها ، مستوحيات اساليب التربية والتهديب

« اليها يتجىء الناس الذين لا أم لهم فيجدون في حضنها الراحة والعطف والمساعدة .
انها تتجىء المنذاري لانها ابهى مظهر للطهر والحشمة والوداعة

« اسمعن يا اخواني يا نساء القاهرة ! اليكن أوجه هذه الكلمات فأقبلنها لانا خلاصة اعتقادي ، نطن الحشمة من مريم اتن بنات اليوم التاسيات . ما وقار المرأة واحترام الناس لها الا نتيجة حشمتها وعفتها . لقد تكن عفيفات طاهرات في قلوبكن ولكن كيف يصدقن الرائي ويحسن النظر يكن واتن تترن في الشوارع بهذه الازياء الحديثة التي تعري سكن انفق والتحر والذراعين ، هذه الازياء الشريرة بأفئتها الشفافة ، الشريرة بتصرها ونبيقتها ، التي تعدم لابسا كل هية وجلال

« ألحبت تزين ؟ ألحبت تهن في هذا التهنك ؟ ألا قاطعن اذا ان حب الرجل لا يكتب بالتهتك بل بالتهتك . الرجل محارب من طبعه هو الفتوحات ويستيت في الاخضاع ويناهو يمرض عن كل ما لا يكتنه ألماً وكداً . فلماذا يسمي اليكن واتن تحظرن في كل مكان ؟

« ام اتن تزين للجمال ؟ ولكن هل الجمال في الزينة والالانة وملاحة الوجه وتاسب الاعضاء ؟ كلا اكم من امرأة نحب آية تاسب وملاحة وهي مع ذلك غير جبية اذا سر امروء بمشاهدتها مرة او مرات فهو لا ينسى مجالستها وعمل كلامها وسخاقتها بعد ان يرفنها قليلاً اذ يرى ان احسن ما فيها هو هذا الشيء الخارجى الذي لا يكتن لامتلاك القلوب واكتساب الارواح
« ألا قاطعن ان النساء اللاتي كن ذوات أثر في اعظم الرجال وذوات سلطة وشوكة

حزنَ جمالاً أعظم من هذا الجمال الخسيس وأبقى . لقد كان لمن جمال النفس الذي يزيد
الايام رونقاً بينما هي تحك البشرة هنا وهناك وتوسعها كل ساعة ذبولاً وانكسافاً . كان لمن جمال
العقل وجمال القلب ، وجمال حسن التصرف ، وجمال النطق الصحيح ، وجمال المحبة الطاهرة
المبينة المستحقة بالمظاهر التي لا يفرها جمال الشباب وجمال الاناقة وجمال الازياء

« أتعلمن ما هو الشباب والجمال ؟ هما حديقة تملأ الازهار النضرة والنعطور المنشة ، يقف
امامها المارؤون معجبين . وما هو الايام ؟ يوم وليمة تغمر العاصفة صارعة اشجارها ، مبددة ازهارها
مبيدة عطورها ، وتنادرها خالية الا من اكوام التراب والاعضان المكسرة . هذا ما تسونته
جمال الشباب اي جمال النشور . اما الجمال الاخر فهو جمال الجوهر . الا لام تطهره ، والمصاب
تجلبوه ، والمواطف تفسد قوة ونبلاً . هو الجمال الذي يبقى نامياً مدى الحياة . هو مسعد
العائلة ، هو مساعد الزوج ، هو مهنذ الاطفال ، هو السلام والخير والبركة . ولتحفظه المرأة ...
اسمن آيتها السيدات ... لتحفظ المرأة ذلك الجمال . عليها ان تكون وردة تحيط بها
الاشواك ... »

انتهت الموعظة . فزف الارض الشجي وابتدأ الريح قاشتريك الجع في التريل وتصاعدت
الساثر نحو الله ملحنة انماً ومحرقة امام هيكله بخوراً
وعند خروجه من الكنيسة كان الظلام يضر المدينة ومضيئو المصابيح يجربون في الشارع
حاملين المشاعل . فوق احداهم يقف على السيدات وهو يفتش عن اسنانه البيضاء ، ويثني على
كل مارة التاء المتعاد قائللاً بهجته المصرية النعسة « انت يا واد يا حلو انت بالي زي الباشا !
انت يا واد يا حلوة »

هذه هي موعظة شهر الورود : على المرأة ان تكون وردة تحيط بها الاشواك . وما « اشواك »
الوردة النسائية غير التكم والحسنة والطهارة كما قال ذلك النفس . فان عجم اليوم لهذا الكم
الطويل الذي يمتد قلبي بأذياله فاعلموا ان سببه موعظة شهر الورود . وان اعرضت عن ذلك
الثوب الشفاف الساحر واستبدلته بهذا الشبه ثوب ايضاً الواعظ لكتافته فما سببه الا موعظة
شهر الورود . وان غادرتكم الآن ، فما ذلك الا لاني اريد ان اسمع موعظة شهر الورود